بمشاركة 46 دولة و4703 شركات:

هل يتحول معرض دمشق الدولي مهرجانا للتسوق؟

دمشق ـ «القدس العربي» ـ من أنور بدر:

افتتح الدكتور «عامر حسني لطفي» وزير الاقتصاد والتجارة نيابة عن رئيس الجمهورية بشار الأسد الدورة الثالثة والخمسين لمعرض دمشق الدولي، والتي أقيمت في النصف الأول من أيلول (سبتمبر) الراهن، بمشاركة (46) دولة عربية وأجنبية و(4703) شركات، فيما قام المهندس «محمد ناجي عطري» رئيس الحكومة بجولة تفقدية في اليوم الأخير منه، يرافقه نائب رئيس مجلس الوزراء للشؤون الاقتصادية، وكل من وزراء المالية والسياحة والاقتصاد والتجارة والزراعة والصناعة والشؤون الاجتماعية والعمل، إضافة للسيد نصري الخوري الأمين العام للمجلس الأعلى السوري ـ اللبناني الذي أكد حرص لبنان على مشاركة دائمة في معرض دمشق الدولي رغم الظروف التي مر بها من دمار وحصار فرضه الاحتلال الإسرائيلي بعد 12 تموز (يوليو)، ومع هذه الظروف كانت هناك مشاركة بسيطة لكنها معنوية هذا العام.

إلا أن الأحداث التي مرت بها المنطقة جراء الاعتداءات الإسرائيلية على لبنان والشعب الفلسطيني أرخت بظلالها على الكثير من النشاطات والفعاليات الاقتصادية والثقافية خارج حدود المشاركة اللبنانية، ومع ذلك استطاع المعرض أن يحافظ على مستوى مقبول من المشاركة الدولية، خاصة بعد ما عادت الصين للمشاركة بجناح ضم /41/ شركة، إضافة للمشاركة الواسعة للمركز التجاري الكوري عبر /60/ شركة، كما أكد السيد «عماد الزعبي» المدير العام للمؤسسة العامة للمعارض والأسواق الدولية، مُضيفاً أن المشاركة الإيرانية كانت من أضخم المشاركات هذا العام إذ حجزت صالة دولية كبيرة بمساحة /2600/ متر مربع، بالإضافة إلى المساحات المكشوفة.

×××××

ولا يُخفى على احد من المتابعين أن الوظيفة الأساسية للمعرض هي وظيفة اقتصادية بالدرجة الأولى، إلا أن معرض دمشق الدولي سعى منذ بداياته للتأكيد على وظائف أخرى سياحية وثقافية وفنية على هامش المعرض، ربما لا تقل أهمية عن الوظيفة الاقتصادية التي كانت وما تزال محكومة إلى درجة كبيرة بشروط الاقتصاد السوري، وبيروقراطيته المعيقة، والتي لم تفلح حتى عام /2001/ برفع قيمة الصفقات التجارية المتعاقد عليها خلال المعرض عن سقف لـ19 مليون دولار فقط، وهو رقم بائس بالقياس للمعارض الدولية، إذ يُمكن لشركة واحدة كبرى أن تنجز تعاقدات بهذه القيمة في بعض المعارض الهامة.

وهذا يُشير إلى ضرورة تطوير آليات التسويق والإعلان، والاهتمام بجذب العارض من جهة والترويج للإمكانيات المتاحة أمام الشركات والمستهلكين معاً، ليس بصفتهم الفردية، وإنما من خلال تلبية الاحتياجات التسويقية لهم، والاهتمام بشكل خاص بترويج وتسويق المنتجات المحلية ورفع سقف الصادرات مقابل ثقل الواردات المتزايد.

وكان السيد الزعبي قد أشار في مؤتمر صحافي الى أن المشاركين في الجناح السوري بلغ عددهم /243/ مشاركاً بالإضافة الى /18/ مشتركاً في سوق البيع، و/75/ مشاركاً آخر في جناح الصناعات اليدوية، وحوالي /78/ مشاركة مباشرة لشركات أجنبية وخمسين مشاركة ممثلة بوكلاء سوريين.

أما عن المساحات المؤجرة في المعرض فقد بلغت /76913/ متراً مربعاً، ومجموع العارضين الإجمالي بلغ /4703/ شركات، منهم /2540/ عارضاً محلياً و /2163/ عارضاً عربياً وأجنبياً، كما تم تخصيص مساحات مكشوفة تقدر بـ /6000/ متر مربع مخصصة لشركات السيارات، وأقيم جناح خاص بالسياحة والريف السوري والزراعة، وجناح خاص بالطاقة المتجددة.

إشكالية معرض دمشق الدولي أنه لن يتمكن من رفع وتائر وسقوف التصدير ما لم يتم رفع القدرة التنافسية للصناعة السورية، وهي مسألة مشكوك فيها ضمن المناخات المحلية والدولية السائدة، كما أن مفهوم المعارض الشاملة قد أخذ في السنوات الأخيرة يتراجع عالمياً لصالح المعارض التخصصية، وهنا يبدو طموح مديرية المعارض والأسواق الدولية بتحويل معرض دمشق الدولي إلى مهرجان تسوق دولي كمهرجان التسوق في دبي مثلاً، ضرباً من الوهم في ظل المعادلة السياسية والاقتصادية المحلية.

×××××

المسألة الجديرة بالنقاش تكمن بالدور الثقافي والاجتماعي لمعرض دمشق الدولي الذي بدأ يتراجع منذ عام /2003/ أي تاريخ انتقاله من ضفة بردى في وسط المدينة إلى موقعه الجديد في مدينة المعارض المشادة على طريق مطار دمشق الدولي بمسافة تبعد حوالي /30/كم مربعاً عن وسط المدينة.

وقد حاولت مديرية المعارض توفير مساحات خضراء ومياه ملونة وراقصة ومشاهد مغرية للزيارة، خاصة وأنها تمتلك مساحة تصل إلى حدود مليون ومئتي ألف متر مربع، قابلة للتوسع حتى حدود المليوني متر مربع، وهي تكاد تضاهي أكبر المعارض الدولية كمساحة، إلا أنها عجزت عن تحقيق تقدم مواز في عدد الزوار، ورغم تأكيد السيد الزعبي أن عدد الزوار في المكان الجديد لم ينخفض عن زوار المعرض القديم، اعتماداً على واردات بيع البطاقات، إلا أن المدير العام يتجاهل الأعداد الغفيرة التي كانت مؤهلة لدخول المعرض القديم بدون بطاقة، وهي الآن لن تجشم نفسها عناء الوصول إلى مدينة المعارض الجديدة على طريق المطار.

وهو يعترف أن عدد زوار العام المنصرم قد انخفض عن الأعوام السابقة، وأتوقع أن تكون الأعداد هذا العام أقل، خاصة مع تخصيص الأيام الثلاثة الأولى من المعرض لرجال الأعمال حصراً، بحيث تتأكد الوظيفة الاقتصادية للمعرض على حساب وظائفه الاجتماعية والثقافية، إذ كان المعرض يُساهم سنوياً في تنشيط السياحة الداخلية باتجاه دمشق، إضافة للسياحة العربية، وكان البرنامج الفني لمعرض دمشق الدولي أغنى بكثير من البرنامج الحالي، ولن ننسى «فيروز» وهي تتألق سنوياً على مسرح المعرض بالإضافة لكبار الفنانين العرب وأضخم الفرق الفنية والاستعراضية العالمية التي كانت تؤم دمشق بهذه المناسبة.

وأعتقد أنه باستثناء «صباح فخري» في حفل يتيم، يمكن اعتبار برنامج المهرجان الفني لهذه الدورة استنساخاً عن الكثير من المهرجانات التي تحتفي بها دمشق أو المحافظات السورية الأخرى، خاصة وأن فرقة «انانا» تكرر عرضها «زنوبيا ـ النخلة والعاصفة»، وفرق «التراث وشموع الطفولة» وسواها من الفرق السورية لم تقدم ما هو جديد أو مميز، واقتصرت المشاركة العربية على نادي «فتيات فلسطين» من مخيم اليرموك في دمشق، وفرقة «راني أبو حدية» من لبنان مع حفل غنائي للمطرب اللبناني «مروان خوري»، مقابل مشاركة دولية يتيمة لفرقة «الجيل الجديد» باسم أرمينيا.

جميل أن يتذكر القائمون على المهرجان الفني للمعرض وجود المطرب الكبير «صباح فخري»، ولكن السؤال: هل خلي الشعراء من متردم؟ أم أن سورية لن تجد مطرباً يوازيه أمد الله بعمره؟ وإن خلت سورية فهل جفت الساحة اللبنانية إلا عن مروان خوري؟ وهل افتقدنا وجود أسماء هامة في مصر والخليج وسواهما من الأصقاع العربية؟

وهل تخطط مديرية المعارض لتحويل المعرض إلى مهرجان للتسوق الدولي اعتماداً على هكذا برنامج فقط؟! وماذا تمتلك حقيقة لتقدم لذلك المتسوق العربي أو المحلي لأنني لا اطمح لمتسوق دولي، رغم إضافة هذه الدولية لكل مهرجاناتنا؟.

يبدو أن معرض دمشق الدولي أمام استحقاق قد يطال مصيره بعد /53/ عاماً على ولادته، فإما أن يتراجع أمام المعارض التخصصية التي تتكاثر كالفطر في كل يوم، أو أن يستطيع تجديد العقلية الإدارية والإعلامية والفنية المهيمنة عليه كي يحقق طموح التحول إلى مهرجان تسوق دولي حقيقة وليس شعاراً فقط.

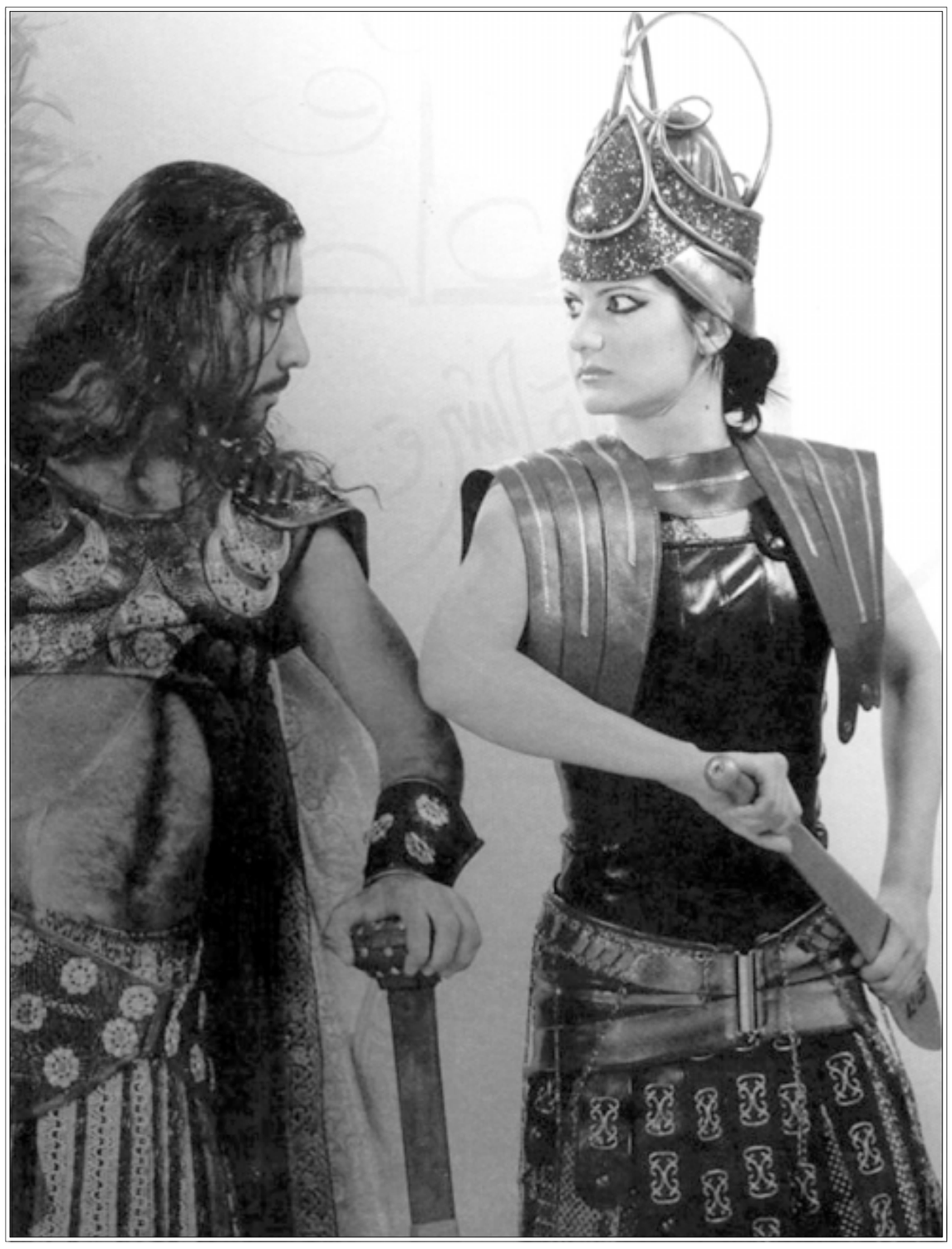

من عرض فرقة «انانا» (القدس العربي)

خواطر على هامش الذكرى الثالثة لرحيل إدوارد سَعيد:

مُفارقَةُ الهُوِيَة

وسام م. جبران*

1 ـ الميزات الإستراتيجية للإنسان «الدُنْيَوي»، والتي تقدم مفتاحاً لاهتماماته النظرية وقناعاته الثقافية، هي ما تشكل مفارقة الهوية لدى إنسانٍ «دُنيوي» مَثَلَ إدوارد سعيد.

2 ـ ثقافياً، تكتسب هُوية إدوارد سعيد وتشكيلات بُنيانها، بوصفها نوعاً من نَص، طبيعة النص كما فهمه إدوارد سعيد على أنه وَعْدٌ باكتساب شبكةٍ واسعةٍ من الإندماجات بالثقافات والوجود.

موسيقياً، لا يمكن فهم إدوارد سعيد؛ مواقفه، نظرياته وآرائه إلا من خلال فهم آلية عمل هذه الاندماجات ووسائل هذا النسيج في التشكل وفي التأثير والتأثر خارجياً (مع مكونات نشوئه)، وداخلياً (في حواره مع نفسه). فإدوارد سعيد مفكرٌ انشغل في «الهم الموسيقي» (كونه موسيقياً بنفسه) وكتب عدداً من الدراسات والمقالات الأكاديمية الهامة في هذا المضمار، وهو جانب لا يمكن تجاهله في مكتبة إدوارد سعيد وفي وجدانه. كما لا يمكن الفصل ما بين فكره العام وانشغالاته الثقافية عموماً وما بين فهمه لمعنى «الموسيقى» والممارسة الموسيقية.

3 ـ إذا كانت الأعمال الموسيقية شكلاً من أشكال «تمثيل» الواقع، فبالنسبة لإدوارد سعيد، الواقع هو أحد أمارات النصيَة ذاتها، وهو أحد أهم ملامح دنيوية النص، دون أنْ يقتَصر الأمر على الحديث عن «تمثيل ما مُهيمن» يُسكتُ الواقع ويُواريه، بل يتجاوز الأمر ذلك الى الصرَاعات بيْن التمثيلات المتعددة فيما بينها.

هذه الخاصية، هي ربما أكثر ما يعني إدوارد سعيد في «نظرته الى الموسيقى»، ولكن، يبقى في هذه النظرة منطلقٌ غربيٌ ثقافياً، يرتكز الى أن العمل الموسيقي يخضع بالضرورة لقوانين النص ومنطقه، اللهمَ إلا إذا تجاوز مفهوم النص وتعريفه مجال التدوين كآلية لها تداعياتها على الفكر والفكر وموضوع وأدوات فكره ضمن سيرورة التدوين ذاتها. أقول هذا لأن الموسيقى الشرقية التقليدية، على سبيل المثال، لا تخضع لذهنية التدوين وتداعياتها؛ إنها ليست «تمثيلاً ما» للواقع بمقدار ما هي «مُعايشةٌ ما» لواقعٍ ما محددَ، وهذا الفارق، ربما غاب عن جدليات إدوارد سَعيد، الذي اعتمد مرجعيات غربية محضة في دراساته وفي تشكيل مواقفه من المُوسيقى والموسيقي.

4 ـ من هنا، فالموسيقي الشرقي التقليدي، يبقى خارج مدار العلاقة الجدلية بين الإنسان والوجود، ثقافياً، في نظر إدوارد سعيد (كما أفهمه)، بل أكثر من ذلك، فهو العاجز دائماً عن تمثيل ذاته لأنه «خارج النص» وخارج الاندماجات بالعالم وبالثقافات. (هذه مسألة تستحق دراسة من منطلقات ما زالت غائبة عن ساحة البحث).

5 ـ فايمر، آب 1999 :

في حديث دار بيني وبين إدوارد سعيد حول هذا الموضوع، كانَ في زبدة ما أراد قوله لي، أنه غير معنيٍ بموسيقيٍ غير قادرٍ أو قابلٍ أو راغبٍ في الانفتاح على الآخر..

ولكن، في هذه القناعة ادعاءٌ بوجود آخر ما حتمي في حياة كلٍ منا، وعلى كل حال، وكي لا أُطيل الشرح، فالآخر الوحيد المُفترض بالنسبة للشرقي العربي (الآن) هو ذلك الآخر الغربي المُندمج من طبقات جلده السطحية حتى أعمق قرارات نفسه في دوامة الغرب الاستعماري الكولونيالي الإمبريالي، والذي لا يمكن فهم «الانفتاح» في أفقه خارج دوائر مصالحه. كما أن، لاحظوا، ما هو الانفتاح حين يكون مطلباً غربياً؟!

الانفتاح على مَنْ؟ وكيف؟ ولماذا؟ وضمن أية شروط؟

كل هذه أسئلةٌ، لا تلغي أهمية الانفتاح، لكنها مطروحة كي لا تبقيه ساذجاً وأحادي الجانب ومُدفعاً دون وقفات نقدية وتأملية عميقة ومتشعبة الاتجاهات.

6 ـ من هنا، نجد أن مشروع إدوارد سعيد ـ بارنبويم المستمر اليوم (بدون إدوارد سعيد) هو مشروع انغلاقي بامتياز، منشغل بكليته بثقافة غربية واحدة (وهي ليست ثقافة عالمية كما يحلو للبعض تسميتها، بل هي ثقافة نخبوية بامتياز) وقد لا يجد البعض تناقضاً بين النُخبوية والعالمية، ولكن الاختلاف موجود بلا شك. من هنا، وحرصاً على فكر وثقافة إدوارد سعيد، التي تؤسس للنقد ونقد النقد والمساءلة والتشكيك والانفتاح المسؤول لا الانفتاح الانبطاحي، واستيعاب الآخر انطلاقاً من حب وتقدير الذات، لا الانصهار في الآخر انطلاقاً من كره الذات واحتقارها؛ أعني الذات الثقافية.

7 ـ أخيراً، هناك ثقافات لا تعرف «الآخر»، وغير مُنفتحة أو معنية بما يحدث «هناك». إنها ثقافات بامتياز. إنها صنيعٌ بشري. إنها أشكال عديدة من التعايش مع الواقع. إنها وجودٌ ما غير مرتبط بشروط «آخر».

ربمّا، «الآخر» معنيٌ بها أكثر مما هي معنيةٌ به.

إنها أُنثى وعذراءٌ، فكيف لا تستثير ذكورية «الآخر»؟!

الناصرة، أيلول (سبتمبر) 2006

* مؤلف موسيقي من فلسطين

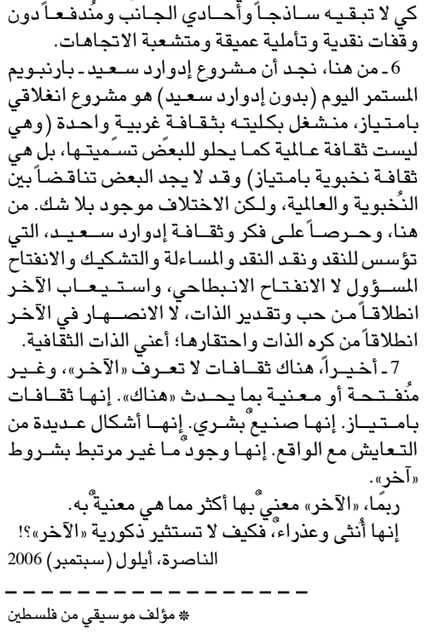

ادوارد سعيد (القدس العربي)

وفاء لذكرى نجيب محفوظ وعبقريته

عبد الرحيم العلام*

■ بوفاة الأديب والروائي العالمي الكبير نجيب محفوظ تكون عبقرية عربية أخرى قد رحلت عن عالمنا.

وعندما أصف الراحل نجيب محفوظ بـ «العبقري»، فذلك ليس مرتبطا بهذه الفاجعة الأليمة، وإنما أقصد ما يتوفر عليه الرجل حقيقة من قيمة أدبية رفيعة، وما لعبه من أدوار طلائعية كبيرة ومؤثرة في التأسيس لخطاب جديد في ثقافتنا الأدبية، من خلال كتابة الرواية تحديدا، عدا ما راكمه من إرث إبداعي كبير، وما لعبه من دور لافت في تقريب الرواية العربية من السينما، بشكل وسع معه من دائرة جمهوره العربي القارئ وغير القارئ..

ولا تتوقف صور هذه العبقرية عند هذا الحد فقط، فنجيب محفوظ ظل طوال سبعين سنة من العطاء يكتب ويبدع ويطور وينوع من شكل الكتابة الروائية ومضامينها واتجاهاتها ومناهجها، بحيث وصل تأثيره الأدبي في هذا المجال مشرق العالم العربي ومغربه، وذلك بمثل مساهمة رواياته كذلك في تطوير خطابنا النظري والنقدي العربي، عبر ما راكمته تجربته الروائية والقصصية من حوارات وبرامج إذاعية وتلفزيونية، ومن دراسات وأبحاث وأطروحات داخل الوطن العربي وخارجه. فحتى ذلك الاعتداء الظلامي الذي كان الراحل قد تعرض له وكذا تدهور حالته الصحية لم يمنعاه من الاستمرار في الكتابة وإثراء المكتبة العربية والعالمية، ولو من خلال تدوين أحلامه وكتابة أقاصيص قصيرة.

من ثم، يبقى الراحل نجيب محفوظ بالنسبة لكتابنا الجدد مدرسة يُقتدى بها بالنظر لما كان يتمتع به كاتبنا الراحل من نبل إنساني، وشجاعة فكرية وأدبية، وصدق فني، وبساطة اجتماعية، وتواضع أدبي، وتحد إبداعي، وانضباط للزمن والكتابة، ولكونه أيضا ظل يشكل ضميرا حيا للأمة العربية وللإنسانية جمعاء. فحتى جائزة نوبل كان الراحل قد تعامل معها بفرح غير إرادي في البداية ثم نسيها فيما بعد، لأنها هي التي سعت إليه، هو الذي لم يحصل أن عمل وأبدع من أجلها. وهي الجائزة التي جاءت، في العمق، تتويجا لصدق الكاتب فيما يعبر عنه بخصوص مجتمعه، وفيما يكتبه عن تاريخه وقضاياه وقيمه وتفاصيله وطبقاته ومشاكله وصراعاته وحقيقته ومراحل تطوره وثوراته وخصائصه وأمكنته وشخوصه ونزعاته الفكرية والإيديولوجية ومعنى الحياة فيه أيضا، من أجل استشراف حرية أمته ونهضتها وتطورها ومستقبلها، بفهم جيد وبروح نقدية ورؤى فكرية وجمالية عميقة. فالذي استفاد من نوبل في الحقيقة ليس هو نجيب محفوظ وإنما الأدب العربي برمته. فبفضل نوبل تزايد انتشار الأدب العربي عالميا وخصوصا الرواية، من خلال حركة ترجمتها النشيطة، وبشكل غير مسبوق، إلى عدد من اللغات الأجنبية، حيث امتد أثر ذلك إلى روائيين وروائيات من أجيال جديدة..

قد يختلف البعض مع نجيب محفوظ في بعض مواقفه وبعض كتاباته، لكنه لم يحصل أن نادى هؤلاء بمحاربته، فظلوا إلى جانبه، يستفيدون من تجربته في الكتابة وفي الحياة، بل إن كتاباته شكلت بالنسبة لهم حافزا لتطوير إبداعهم من خلالها، إلى درجة أن بعض الروائيين الجدد يعترفون اليوم بصعوبة الكتابة على منواله.

إن أجمل شيء يمكن للمرء أن يقوم به اليوم بعد رحيل أديبنا الكبير هو أن يورث أبناءه قراءة نجيب محفوظ، وهو بذلك إنما يفتح أعينهم على فهم واستيعاب تاريخ عربي طويل، مليء بالحكايات والأحداث والحقائق والأساطير والرموز والانتصارات والصراعات والأحاسيس والتناقضات والأوهام والهواجس والأحلام، ومليء أيضا بالمتعة والمعرفة والسخرية والنكتة والدعابة..

والدور اليوم يقع على اتحادات وروابط الكتاب والمجالس العليا للثقافة في البلدان العربية لكي تجعل من ذكرى رحيل كاتبنا الكبير مناسبة لعقد ندوات وملتقيات محلية وعربية وعالمية لتجديد قراءة عالمه الأدبي والسينمائي، ولنشر ما كتب من دراسات وأبحاث ما تزال مخطوطة عن أعماله، وفاء لذكراه وعظمته وعبقريته، وحفاظا على إرثه الإبداعي والرمزي.

* ناقد وروائي من المغرب

ثلاث قصائد

محمد ميلاد*

جرحٌ وُلد للتّو

خالي الجراب أعود في كل مرة. لا شيء يدل على انني قد خضت تلك الغمرات، لتستقبلني نفس الشجرة المنحنية على جانب الطريق. أأرجح يدي المطعونتين وتجرني قدماي نحو الحمامات والمراحيض. الهواء الذي أسمعني حشرجته عند انطباق القبر، رأيته يهجر رئتين صغيرتين ليتشبث بالمطاط. هناك آلهة تعبث بالبشر وتصنع لهم من ظلالهم احابيل ليتبرأوا من فرمات اللحم على الدواليب. لن يسليني تنفسي في الظلام ولا حماقة الابواب. هذه اليد المثقلة بالكلمات ليست دليلا على ما تذوقته في ريح النسيان دون ان تراه عيناي.

وهذه الحمى لا يشهد بها سوى هذا الدم الذي لا برء منه.

مثل تلك الاشياء لا تنصب لها الفخاخ.

واقصى المستطاع هو ان تنام لترى من مسافة بعيدة الزهرة التي تنبع من دمك الظمآن وان تغتبط اذا استنشقت انفاس جرح ولد للتو.

كلمات أخرى

انه العصر الذي يتستر في المزابل الصغيرة وخلف اعجاز القتلى. ما حاجة الفجر الينا نحن الذين لا نميز بين خط الافق والخط الذي تعمقه اصابعنا على النوافذ المجروحة. عندي الآن ما يحتاجه الميت ليألف التجاعيد.

والكلمات الزاهدة الغافية بين الكلام والصراخ لم تعد تخدعني بطفولتها. اني ارى الضوء يغتسل في كلمات اخرى ونارا تحتضنني في كل عتبة.

أصغي الى عينيك..

أصغي الى عينيك المفتوحتين تحت الانقاض. يعلو صوتك الطفل في يقظة الليل وتلوب روحك كنورسة بيضاء. ابحث عن لازمة لأفرغ كل ذلك البريق المنهمر بلا انقطاع، عن مطلع اغنية يطلق غصتك الملغومة. انفث حياة عابرة في الكلمات المسمومة.

هل من لازمة لعينيك لاكتب نطق الحياة. ربما تكون اللازمة عيناك اللتان لا تطرفان، عيناك الجامحتان في العواصف. ما اضيق خطاي المسعورة في هذه السماوات الشاسعة. هل يسبق دمك التراب ام يعقبه؟ عنوة قطفتك اليد العمياء نفسها وغُيّب الشهود. لست عاثر الحظ ولست وقودا بل انك المحكوم بالارض تجبلها بدم لا يخمد، انك المحكوم برمادك.

* شاعر ومترجم من تونس